تعقيب على بحث "منهج الشيخ عثمان بن منصور في تدوين التاريخ والأنساب"

اطلعت على ما ذكره الأخوان الدكتور خالد الوزان والأستاذ عبدالله البسيمي في بحث لهما بعنوان (منهج الشيخ عثمان بن منصور في تدوين التاريخ والأنساب)، المنشور في مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة السادسة والثلاثين، شوال ١٤٣١هـ.

وما من شك أن مثل هذه البحوث تثري الساحة بإفادات جديدة تعبر عن اهتمامات وجهات أصحابها، وتساعد على دراسة التاريخ المحلي بطرق نقدية هادفة، ومهما يكن فإن أي نقد أو تعقيب على أي موضوع لا يقلل من شأنه، بل يثري البحث بمعلومات جديدة يستفيد منها الكاتب والقارئ. وفي هذا التعقيب أحببت أن أعقب على ما ورد في الصفحة رقم (٦٥) من المقال حول شراء السديري للغاط من محدث عام ١٠٩٨هـ تقريبًا.

فقد كانت ظاهرة شراء الأراضي لإنشاء بعض البلدان النجدية أو إعادة عمارتها أو إقطاعها ظاهرة معروفة في ذلك الوقت، كما نص على ذلك كثير من المؤرخين، ومن أمثلة الإقطاع -على سبيل المثال لا الحصر- ما ذكره الشيخ المؤرخ إبراهيم بن عيسى (ت ١٣٤٣هـ) الذي قال في كتابه "تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد"[١] عندما تحدث عن أحداث عام ٨٥٠هـ حول إقطاع الدرعية: وفيها قدم مانع بن ربيعة

(١) ص٣٦.

المريدي من بلد الدروع المعروفة بالدرعية من نواحي القطيف ومعه ولده ربيعة، على ابن درع رئيس الدروع أهل وادي حنيفة، وكانت بينهم مواصلة لأن كلاً منهم ينتسب إلى حنيفة، فأعطاه ابن درع المليبيد وغصيبة، فعمَّر ذلك هو وذريته.

وذكر أيضًا في (ص٣٢) عند حديثه عن عمارة بلد المجمعة أن عبدالله الشمري قدم على إبراهيم بن حسين بن مدلج، فطلب منه قطعة أرض لينزلها، فأعطاه موضع بلد المجمعة، وهو ما يدل على أن ظاهرة الإقطاع كانت من أسباب إعادة إعمار بعض البلدان النجدية أو إنشائها، أما الشراء فمن أمثلة ذلك شراء آل حمد من بني وائل حريملاء من ابن معمر عام ١٠٤٥هـ[٢].

والنص الذي عليه الملاحظة في بحث الأخوين هو: "لعل أقرب تقدير لشراء حسين السديري للغاط من آل محدث هو سنة ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٧م".

ويلاحظ على هذا النص عدة أمور منها:

١ - أن الرواية المتواترة أن السديري اشتراها من محدث، وليس من آل محدث، وبهذا يكون هناك فرق زمني كبير بين الجد وأحفاده، والرواية التي نقلها الشيخ إبراهيم بن عيسى في مجموعه عن إبراهيم بن هبدان قال: ذكر لي إبراهيم بن هبدان أن جده محدث لما غلبه الدواسر على جلاجل وأعطوه بدلاً عنه الخيس، وسكن الخيس، ثم انتقل عنه وسكن في أسفل بلد حرمة، ثم انتقل إلى

(٢) ابن عيسى، إبراهيم، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص٥٢.

الغـاط وسكنه. وهو أول من عـمـره، وبنى فيـه قـصـرًا، وغرس فيه نخلاً، ثم أتى إليه جد السدارى من القصيم، فأعطاه قطعة من الأرض، وحفر فيها بئرًا، وغرس فيها نخـلاً، وسكن عنده. ثم إن السـديري صـار له أعـوان، فـخـاف منه مـحـدث، فطلب النصـرة من أهل سـدير فواعدوه على الفتك بالسديري. وكان لمحدث عبد اسمه فـداغ أخـبـر السـديري بذلك، فـانتـذر السـديري وانثنى عـزمـهم على ذلك. فلمـا كـان بعـد أيام قـال السـديري لمحـدث: إني نزلت عندك جـارًا، وأخـشى من شيء يقع بيننا، فإما بعني نصيبك وإلا اشتر مني، فباعه محدث جميع ملكه من الغاط، وانتقل محدث إلى حرمة[٣]. وقد ذكر هذه الرواية أو قريبًا منها أيضًا الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام في كتابه علماء نجد خلال ثمانية قرون[٤]، والشيخ عبدالله بن خميس في كتابه معجم اليـمـامـة[٥]؛ فـمن خـلال هـذه الروايات يسـتـدل على أن الشراء كان من محدث، وليس من آل محدث.

٢ - حسب مـا ورد في وثيـقـة وقف الطويلعـة في جـلاجل، المنشـورة في كـتـاب وثائق من الغـاط، ومـضـمـون هذه الوثيقـة شـهـادة إبراهيم بن سـالم إمام عقيـدة النواصر، وشـهادة عبدالله بن شفيش إمام الغاط، وفيها أيضًا أن فاطمة بنت جبر هي أم إبراهيم بن محمد بن راجح جد

(٣) مجموع ابن عيسى، مخطوط، ورقة رقم ٧٢.
(٤) ج٢، ص ٢٦١.
(٥) ج٢، ص ٢١١.

السدارى، وهم حسين بن أحمد بن عبدالله، وأخوه عبدالله بن أحمد، وسليمان بن أحمد بن عمر. وأن فاطمة بنت جبر هذه المذكورة هي التي أوقفت وقف الطويلعة المذكور في بلدة جلاجل من بلدان سدير، وكاتب الوثيقة أحمد بن محمد القصير المتوفى عام ١١٢٤هـ[٦]. وتدل هذه الوثيقة على اتساع الغاط زمن أميرها حسين بن أحمد السديري في القرن الحادي عشر، الوارد اسمه في هذه الوثيقة حيث وجد بها مسجدان، أحدهما المسجد الجامع، وهو ما يعني أنه لا يمكن أن تتسع الغاط عند نشأتها في فترة قصيرة حسب تقدير التاريخ المذكور، بل كان ذلك امتدادًا للقرن العاشر.

٣ - مما أورده الشيخ ابن عيسى في الرواية السابقة حول نشأة الغاط يلاحظ وجود ثلاثة أشخاص في زمن واحد، هم:

أ- محدث الحديثي.

ب - فداغ مولى محدث.

ج - السديري جد السدارى.

ومن خلال معرفة زمن أحدهما يمكن معرفة الزمن الذي عاش فيه الجميع.

أ- محدث الحديثي:

ذكر في إحدى الوثائق قسمة عبدالرحمن وأخيه مانع آل محدث، وقد كتبها الشيخ حسن بن عبدالله أباحسين (ت ١١٢٣هـ)، إضافة إلى ما ذكره الشيخ ابن عيسى عن سطوة

(٦) البدراني، فائز، وثائق من الغاط، ج١، ص ٤٧-٤٨.

آل محدث من بني العنبر بن عمرو بن تميم عام ١٠٩٨هـ على الفراهيد في الزلفي، التي ذكرها بعض مؤرخي نجد، كالمنقور والفاخري والبسام، وهو ما يعني تقدم زمن محدث عن هذه التاريخ الذي سطا فيه أحفاده، ولو فرض أن بين محدث وأحفاده على أقل تقدير ثلاثة أجيال، ولكل جيل ٤٠ سنة؛ فيكون زمن محدث في القرن العاشر.

ب – فداغ مولى محدث:

يعتبر سليمان بن إبراهيم الفداغ أحد كتاب وثيقة تخص محمد العميري في زمن أمير الغاط سليمان بن حسين السديري، حيث قال في نهاية الوثيقة : وكتب شهادتهما وأثبتها وألزم به وحكم بلزومه بعد سؤال من له سؤال ذلك راجي عفو مولاه الكريم سليمان بن إبراهيم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، تحرير سنة ١١٨٣ من الهجرة على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام(٧).

وهو سليمان بن إبراهيم بن سليمان بن محمد بن علي بن فداغ، حسب ما ورد في مشجرة آل فداغ، المذكورة في كتاب وثائق من الغاط(٨)، فمن خلال حساب عدد الأجيال بين فداغ وسليمان بن إبراهيم، ولكل جيل٤٠ سنة، نجد أن فداغًا يكون موجودًا في القرن العاشر .

ج – السديري جد السدارى:

أورد عبدالله فيلبي في كتابه "الذكرى العربية" مشجرة

(٧) البدراني، المرجع السابق، ج١، ص ٦٥.

(٨) ج١، ص٣٧٠.

لأنساب السدارى، ومما ذكر تاريخ نزول أحد أجدادهم في الغاط، حيث قال:

- راجح بن عمر: أول من هاجر من أفراد الأسرة من وادي الدواسر إلى منطقة القصيم، حيث استقر في عنيزة.

- محمد بن راجح: أول من هاجر من عنيزة ليستقر في العودة في مقاطعة سدير، وكان أول من لقب بالسديري.

- علي بن محمد السديري: أول فرد من الأسرة يستقر في الغاط نحو عام ١٥٦٠م، ومن وقتها أصبحت الغاط هي مركز الأسرة(٩).

ومنها يتضح أن جد السدارى قد استقر في الغاط عام ١٥٦٠م تقريبًا، أي نحو عام ٩٦٧ هـ، أي كان وجوده في الغاط في القرن العاشر.

٤- توقع الأخوان في مقال سابق لهما عن النهضة النجدية، نشر في مجلة الدرعية(١٠)، أن محدثًا عاش في القرن العاشر الهجري، وبعد عدة تنقلات أنشأ بلدة الغاط.

ومما سبق يتضح لنا أن زمن شراء السديري الغاط من محدث كان في القرن العاشر الهجري، وفي النصف الثاني منه تقريبًا، وليس في القرن الحادي عشر كما ذكر في المقال.

وبعد هذا ما أحببت إيضاحه حول هذا البحث.

أ. محمد بن عبدالعزيز الفيصل

---

(٩) فيلبي، عبدالله، الذكرى العربية للمملكة العربية السعودية، تعريب د. عباس سيد أحمد، ص٤٢٣. مع تعديل التصحيف في الأسماء.

(١٠) السنة التاسعة، العدد ٣٦، ص٦٤ .